هـــل هنـــاك إســـلام جـــديـــد ؟!

رداً على المخالفات الدينية في هذه الفتنة

مقدمة:

هذا البحث "هل هناك إسلام جديد" موجه للفئة التي تؤمن وتدخل بقول الله سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ) فقط، بمعنى من قبل بالعقد الإيماني بينه وبين الله سبحانه وتعالى. من ثم يكون دين الإسلام هو المنهج والميزان المعتمد بالحياة إلى يوم القيامة. قال تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً).

وكي لا أدخل بمن قال عنهم بيان الله: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)، وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)

سيكون البحث عن الفتنة في بلدنا الحبيب وعدم الانجرار إليها وهذا ما أطبقه إن شاء الله. وأستند في رأيي على أوامر الله ورسوله الكريم التي سأذكر بعضاً منها في هذا البحث عسى أن أكون قد امتثلت لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بلّغوا عني ولو آية) وأسال الله الإخلاص.

أتمنى أن يقرأ البحث كاملاً وليس مجتزءاً

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: طاعة الله ورسوله:

أمر الله تعالى بتحكيم الشرع إذا ما اختلفنا في أمور ديننا ودنيانا حتى لا نكون عرضةً للآراء المختلفة والمصادمات والاقتتال.

قال تعالى: (وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ)

وقال تعالى: (مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً)

وقال تعالى أيضاً:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)

وقال تعالى: (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً). [النساء: 65].

وقال تعالى رداً على كل من لا يلتزم بأوامر الرسول: (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ).

صدق الله العظيم

ثانياً: تجنب الفتن وكيفية الخروج منها إذا وقعت:

في البداية يجب أن نتكلم عن أسباب الفتن لا الاستمرار في الكلام عن نتائجها... فقط.

قال ابن عباس رضي الله عنه: "أيرتكب أحدكم أحموقته ثم يقول: يا بن عباس يا بن عباس".

(إن من السهل أن تبدأ الفتنة في الوقت الذي تريد ولكن من الصعب جداً أن تتوقف الفتنة في الوقت الذي تريد).

من معاني الفتنة:

هي كل حالة يغيب فيها سلطان العدل، ويفلت فيها زمامه، وينجرف فيها الناس إلى التهارج والقتل دون ضوابط ولا اختيار.

وكل الفتن ذات درجة واحدة في الخطورة وتسبب الهلاك.

فقد حذر النبي الكريم صلى الله عليه وسلم من الفتنة بأحاديث عديدة منها:

(إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوىً متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة) ابن ماجه وأحمد والنسائي والترمذي.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرَّف لها تستشرفه، فمن وجد فيها ملجأ، أو معاذاً، فليعذ به).

وفي رواية أخرى قال: (إنها ستكون فتنةٌ القاعد فيها خيرٌ من القائم والقائم خيرٌ من الماشي والماشي خيرٌ من الساعي قال أفرأيت إن دخل على بيتي وبسط يده إليَّ ليقتلني قال كن كابن آدم).

قال تعالى: (لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)

حديث آخر: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: (نعم). قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: (نعم، وفيه دخن). قلت: وما دخنه؟ قال: (قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر). قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: (نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها). قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: (هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا). قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم). قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: (فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضَّ بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفرُّ بدينه من الفتن).

(بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع أحدهم دينه بعرض من الدنيا).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء قيل وما هي يا رسول الله: قال إذا كان المغنم دولاً والأمانة مغنماً والزكاة مغرماً وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الأصوات في المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم

وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القيان والمعازف ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء أو خسفاً أو مسخاً).

وقد يختلف الترتيب الزمني للأحداث في زمننا عن الترتيب الذي جاء في حديث رسولنا الكريم والشاهد هنا ارتفاع الأصوات في المساجد كما يحصل اليوم.

قال رسول الله: (إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ)، يُرَدِّدُهَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ.

عن عبد الرحمن بن هرمز، عن أبي هريرة أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: (ستكون فتنةٌ صماء بكماء عمياء، من أشرف لها استشرفت له، وإشراف اللسان فيها كوقوع السيف).

وقال نبينا الكريم عليه السلام: (يتقارب الزمان، وينقص العلم، ويلقى الشُّحُّ، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج)

وقال أيضاً: (إن بين يدي الساعة لأياماً، يرفع فيها العلم، وينزل فيها الجهل، ويكثر الهرج).

والهرج: القتل.

وأما الخروج منها:

أعتقد أن ما يجري اليوم هو فتنة عظيمة، كيف لا تكون فتنة !!؟؟ وفي حال استمرت فنهايتها إمّا لحرب أهلية وقد بدأت بكل أشكالها وإمّا بتدخل وتطاول خارجي على هذا البلد. ولكنّ بعض الناس آثر على أن تنطبق عليه الآية الكريمة: (أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ)

فما رأي الشريعة الإسلامية بذلك وما هي مقاصدها ؟

أيّ مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة.

والقاعدة الشرعية المجْمَع عليها تقول: "لا يجوز إزالة الشر بما هو أشر منه" ولا شك أن الحكمة والتبصر غائبة في هذه الأيام على الكثير من الناس

قال تعالى: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ).

وأقول لمن يعبر عن حريته بطريقة فوضوية عندما يرى اختلاف أهل العلم أمام مثل هذه الفتنة:

إن كنت مؤمناً بوصايا القرآن والسنة النبوية الشريفة أمام هذه الفتنة، فعليك إتباعهما حق الإتباع فعندها سترفع جميع الفتن بإذن الله تعالى.

فحسبك أن تستجيب لأمر النبي الكريم الموجه إليك وإلى أمثالك: (إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة).

وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي)

عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لقد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك) (صحيح)

وأقول لكل من يتهم هذه النصائح النبوية بالسلبية والفرار من الواجب: أن النبي صلى الله عليه وسلم لو خصّ بهذه الوصية واحداً أو ثلة من أصحابه أو همس بها في آذانهم لأشبه أن يكون الأمر كما يقولون. ولكنّها وصية عامة أوصى بها المسلمين جميعاً عندما تهتاج عليهم مثل هذه الفتن.

ولو أنهم انقادوا لوصية رسول الله واعتزلوا هياج الشوارع، وعكف كل منهم على تربية أهله وأولاده التربية المثلى؟! لانقشعت الغمّة وسكن الضجيج وانكشف تجار الفتنة وعملاء المخطط الخارجي الآثم.

وإنّ من الحكمة والدين أن لا نسير في طريق مجهول لا نعرف كيف ولا أين ينتهي بنا ولا نعرف من وراءه، وقد يكون له العديد من الآثار السلبية التي لا يمكن أن تحتمل.

فالله عز وجل لم يأمرنا بالإسلام إلا بعد أن بيّن لنا وعرّفنا الطريق الذي سنسلكه.

قال تعالى: (قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي)

فهل سألنا أنفسنا من البديل الأفضل؟ ومن يدعمه؟ ولمصلحة من؟؟؟ وما هو طريق الإصلاح الآمن والنظيف الذي يمكن أن نسلكه دون الدخول بعشرات المعاصي المرافقة له؟؟

ومن طرق الابتعاد عن الفتنة سد ذرائعها.

كتاب الله يأمر أمراً جازماً للمسلمين، بسدّ الذرائع الموصلة إلى ارتكاب أمر محرم.

فقد قال تعالى: (ولاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّواْ اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)

وذلك أنه حُرّم على المؤمنين سبُّ الأصنام لأنه سيدفع المشركين إلى سب الله، مع العلم بأن سب الأصنام في أصله أمر مباح.

والقصد هنا هو عدم الاستفزاز من سباب وغيره ...

فكيف إن تسبب هذا الاستفزاز بأذى الأبرياء ونشوء الأحقاد والنزوات؟

فإن الله تعالى نهى المسلمين على استثارة المشركين بسب أصنامهم، ولم يتحدث عن سب المشركين لله نتيجة لذلك؟

فلماذا الإصرار على مخالفة أمر الله وأمر رسوله، ثم التّشدق بعد ذلك بالسؤال عن حكم الإسلام في حق النتيجة التي انبثقت عن هذه المخالفة؟!.. فاستجيبوا لأمر رسول الله القائل في حق مثل هذه الفتنة لكي لا يصيبكم مكروه.

إنّ الله لم يوجه اللّوم في قرآنه للذين يسبون الله عدْواً بغير علم كما قال، وإنما وجّه التحذير للمسلمين الذين يسبون الأصنام، وذلك لأن فعلهم هو السبب فيما يقدم عليه المشركون من سب الله. فلماذا تحب أن تناقض المنهج الذي سار عليه كتاب الله، واستخرج منه علماء الشريعة مبدأ سد الذرائع؟

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنّ من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه قال يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وحتى الميت من المشركين نهى الله عن سبه فقال: (فإنّ ذم الميت يؤذي الحي ولا يبلغ الميت)

قال تعالى (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً) صدق الله العظيم

ومن سد ذرائع الفتنة ضرورة الانقطاع عن المظاهرات والمسيرات التي تستجر (شئت أم أبيت) إلى أنواع من الأذى، تتفاقم ثم تتفاقم في ظل هذه الأجواء المشحونة لتنتهي أخيراً إلى حرب أهلية طاحنة.

ومن المعلوم أن معظم أعمال التخريب التي تمت والأرواح التي أزهقت في الشوارع، إنما تم التذرع إليها والتسبب لها بالمظاهرات المهيجة والهتافات الاستفزازية والتصرفات الهوجاء المثيرة لغضب الآخرين. ومن ثم فإن المتذرعين والمتسببين يتحملون (قضائياً في دار الدنيا، وعقاباً لهم يوم القيامة) نتائج أعمالهم الذرائعيّة.

وهذا حكم شرعي ثابت لا نعلم خلافاً فيه، وإذا كان فيمن يعُدون من العلماء من يخالف بسلوكه أو بتعليماته هذا الحق الثابت، فهو إما لجهله أو لإيثاره رضى دهماء الناس على رضى الله والالتزام بشرعه.

بقي أن يعلم علماء الدين، أن لكل مقام مقالاً يناسبه. فإذا كانوا أمام عوام الناس وفئاتهم، فيجب أن يذكروهم بواجباتهم المنوطة في أعناقهم وأن يدعوهم إلى التوبة من أوزارهم المتنوعة الكثيرة التي يرتكبونها. وإذا كانوا أمام المسؤولين أو ثلة منهم أو القيادة العليا فيهم، فيجب أن يذكروهم بواجباتهم وأن يحذروهم من المعاصي والأخطاء التي يرتكبونها بقصد أو بغير قصد، وأن يدعوهم إلى تحكيم الدين وإصلاح الحال.

والعجيب أن من الخطباء من يعكس هذا الأمر، فلا يطيب له أن يتحدث عن تقصير المسؤولين وأن يذكر بمعاصيهم وأخطائهم، إلا عندما يرى نفسه يخاطب دهماء الناس وعامتهم، وهو يعلم أن الناس الذين يخاطبهم ليسوا هم المعنيين بذلك، وأن القادة والمسؤولين غائبون ولا علم لهم بهذا الذي يصفهم به، ويدعوهم إليه.. ولعل الفرصة إذا أتيحت لهم في لقاء القادة والمسؤولين لمناسبة ما، لا يتذكرون من كل ما كانوا يغتابونهم به أمام دهماء الناس شيئاً.

فلو ذكّرت تلك الأمور اليوم على ملأ من الناس، لتسبب عنها هيجان لا ضابط له من عقل ولا شرع، ولكانت نتيجة ذلك أعداداً من القتلى يتحمّل الخطيب عند الله مسؤولية تلك الدماء، ولجاءت هذه التذكرة بالشر بدلاً من أن تأتي بأي خير.

ونذكركم أيضاً بقوله تعالى: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ)

و قوله: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)

وعن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها قالت يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: (نعم إذا كثر الخبث).

فالفتنة إن حلت يمكن أن تصيب الجميع لاسيما أن الخبث كثر (فعلاً وقولاً) بالغيبة والنميمة والتحريض والتسلي في نشر الأخبار التي قد تكون بعيدة عن الواقع وإنما هي لنشر البغضاء والكراهية وإشعال الفتنة أكثر بدلاً من إخمادها.

ثالثاً: حُكم الشرع في الخروج على الحاكم.

أولاً:

لا بد أن أذكركم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسؤولية: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهل بيته ومسؤول عن رعتيه، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته). صدق رسول الله

فهل قمنا بواجبنا أمام من نرعاه فالحديث يشمل كل الأطراف.

في هذه الأزمة تردد من بدايتها الخروج على الحاكم وحكّمَ كل واحد هواه دون أن يعرف رأي الشرع في ذلك فقد نسي قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) نفهم من هذه الآية أن الخلاف وارد ولكن المؤمن إذا حصل الخلاف رده إلى حكم الله ورسوله لا إلى آرائه الشخصية وتحليله أو تحليل المحطات الفضائية.

ويقول تعالى أيضاً: (فَلا وَربك لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً). [النساء:65]. وهنا نفهم أن عدم الاستماع إلى حكم الشرع والانصياع إليه يعرضهم إلى معصية كبيرة وربما كانت أكثر من مجرد معصية فالأمر هنا أصبح أخطر من المسألة المتنازع عليها نفسها لذلك فإن هذا البحث قد لا يعني الكثير من

الناس سوى الذي يجعلون من الشرع ميزاناً لهم. قال تعالى: (والسماء رفعها ووضع الميزان * ألّا تطغوا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) والميزان هو الشرع الإسلامي الحنيف.

وهنا ملاحظة (سننقل الأحاديث كما وردت عن النبي في صحيح البخاري وهو أصح كتاب بعد القرآن الكريم ولا نعني حاكماً معيناً ولكن هذا أقصى ما قد يكون من الحكام الذين لا يجوز الخروج عليهم).

إن النبي صلى الله عليه وسلم بيّن أن (السلطان ظل الله في الأرض فأجلّوه وعظّموه وإن كان عادلاً فله الأجر وعليكم الشكر وإن كان جائراً فعليه الوزر وعليكم الصبر).

إن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينه عن الخروج على الحاكم العادل حصراً، كعمر بن الخطاب رضي الله عنه بل نهى عن الخروج على أي حاكم ما لم يعلن الكفر البواح ويأمر ألم نبينا الكريم فيما رواه مسلم وغيره: (إنها ستكون أمراء تعرفون منهم وتنكرون، ولا يستنون بسنتي ولا يهتدون بهدايتي قلوبهم قلوب شياطين في جثمان إنس) قال له أبو حذيفة: فبم تأمرني إن أدركت ذلك ؟ قال: (تسمع وتطيع، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك تسمع وتطيع) فهل هؤلاء عادلون من أمثال عمر ؟!..

وقال عليه الصلاة والسلام: (أعطوهم ما لهم، وسلوا الله ما لكم) أي أعطوهم ما طلبوه منكم وإن ارتكبوا في ذلك إثماً، واطلبوا من الله أن يعوضكم خيراً، وأن يأخذ حقكم منهم يوم القيامة.

وقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنكم سترون بعدي أثرة وأموراً تنكرونها) قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: (أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقكم).

وقال عليه السلام أيضاً: (من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية).

فالرسول الكريم قال ذلك كله تجنباً لاندلا ع الفتنة وتوقياً لأسبابها.

كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: (نعم). قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: (نعم، وفيه دخن).

قلت: وما دخنه؟ قال: (قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر). قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: (نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها). قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: (هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا). قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم). قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: (فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضَّ بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك).

قال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ). صدق الله العظيم

وقال تعالى أيضاً: (وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً)

جلس رجل إلى هارون الرشيد ينصحه وأغلظ عليه في الحديث جداً فقال له الخليفة: هل أنت أفضل من سيدنا موسى؟ فرد الرجل لا.. فسأله الخليفة: هل أنا أسوأ من فرعون؟ فقال لا.. هنا قال الرشيد ما دمت أنت لست أفضل من موسى ولا أنا أسوأ من فرعون. ألم تعلم أنّ الله سبحانه قال لموسى وأخاه هارون: (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى).

وقال سبحانه: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) صدق الله العظيم

نسأل هنا هل نحكّم شرع الله...

فإذا لم تجد من الحاكم كفراً بواحاً لا يخالفه الشك ولم يأمرك بمنكر ولم يمنع بناء المساجد بل وازداد عددها أكثر ولم يمنعك من تأدية فرائضك وسمح بالمعاهد الشرعية لدرجة أصبحت الشام قبلة لطالبي العلم الشرعي وسمح وأتاح بل وشجع على تعلم القرآن ومجالس العلم في كل المساجد ولا ننسى أيضاً مدرسة الحديث النوريّة التي هي الثانية في العالم.

فهل يجوز الخروج عليه شرعاً فكيف إذا علمت أن من يدعم هذه الفتنة وينفخ فيها ويأججها هم جهات مشبوهة وهم أعداء الله ورسوله والمسلمين وكيف إذا علمت أن نتيجة هذه الدعوة الانقسام الداخلي وربّما تقسيم الوطن نفسه وظهور الفتن وغياب الأمن والأمان

والاستقرار والفوضى والضرر بالاقتصاد والخراب والدخول بالفعل ورد الفعل والكراهية بين أفراد المجتمع الواحد وارتكاب المحرمات والكبائر من القتل وسوء الخُلُق وسوء الظن وتكفير الناس وتقييم الآخرين على حسب الأهواء.

فعلى الأقل ومن باب سد الذرائع يجب عدم الخروج عن الحاكم لأن ذلك سيجلب ويلات لم يكن لنا عهدٌ بها وستدخلنا في نفقٍ مجهول مظلم لا نعرف نهايته.

(وكل هذا حصل لجهلنا بالشرع ولجهلنا بأمور البلاد الداخلية والخارجية)

كيف يمكن أن نوفق بين الحديث الصحيح (تسمع وتطيع، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك تسمع وتطيع) وبين الحديث التالي: (سيكون بعدي أمراء يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)

أن المجاهدة باليد وباللسان، تعني في الحالين إنكار المنكر، فإن تأتى ذلك باليد دون أن يستلزم ذلك وقوع منكراً أشدّ منه حرمة، كان النهي به هو الواجب، وإلا وجب تجاوز اليد إلى اللسان.

وقد أفاض في بيان ذلك الإمام الغزالي في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كتابه إحياء علوم الدين.

ولا يدخل أي من الحالتين في المراد بالخروج على الحاكم. ومثله الحديث الصحيح المعروف (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) فهو جهاد باللسان، ولكنّه ليس خروجاً على الحاكم..

ولو أن العلماء ورجال الدعوة هبّوا لإنكار المنكر إذ يتراءى في المجتمع بأحد السبيلين الممكنين لصلحت الأمور كلها، ولسدّت منافذ السوء كلها.

وتفسير التغيير باليد لا يستلزم القتال وقد نص على ذلك أحمد أيضا في رواية صالح فقال التغيير باليد ليس بالسيف والسلاح.

فقد قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ).

قد يقول قائل أن هناك أناس لا يطالبون بالتغيير بالسلاح وإنما باللسان من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فنقول لهم: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له شروط أمّا الذي تفعلوه فهو ظهار وخروج عن الحاكم ولو كانوا يرددون كلمة الله أكبر.

هناك مصطلح يردد هو خلع الحاكم سلمياً.

لا وجود عقلياً لما يسمى "خلع الحاكم بطريقة سلميّة" لأن كلمة "الخلع" تعني الإجبار، وكلمة "السلميّ" تعني المحاورة والإقناع، لا الاقتتال.

وهناك أسئلة قد ترد على أذهان البعض مما قرأ بالتاريخ مثل قصة سيدنا علي ومعاوية ومثل خروج الحسين على يزيد.

ما وقع بين الصحابيين الجليلين علي ومعاوية معاذ الله أن يدخل في عموم حديث رسول الله: (إذا التقى المسلمان بسيفهما.. إلخ).

إي إذا التقيا بسيفهما بدافع الرعونة والعصبية ومع شرود كل منهما عن ضوابط الشرع، أما إن التقى المسلمان بسيفهما أحدهما صائل مجرم والثاني مصول عليه يدافع عن حياته أو عرضه أو أرضه..، فهو غير داخل في عموم الحديث، وكذلك إن التقى المسلمان بسيفيهما، كل منهما مجتهد موقن بأن أمانة الخلافة قد استتبت له فهو مكلف شرعاً بالمحافظة على الأمانة، فهو غير داخل في عموم الحديث السابق. ولذلك أجمع علماء الشريعة الإسلامية أنه لا يجوز لنا أن نجرّم أياً من الجانبين في تلك الحرب، ولكن يجوز للمجتهد الفقيه أن يجنح بفكره إلى من يرى أنه الأقرب منهما إلى الحق.

وبالمناسبة لا بد من ذكر هذه القصة لمعاوية بن أبي سفيان لأخذ العبرة:

إن الخلاف لما اشتد بين علي ومعاوية، وبلغ ذلك قيصر الروم أرسل لمعاوية رسالة قال له فيها: "علمنا بما وقع بينكم وبين علي بن أبي طالب، وأنت أحق منه بالخلافة لحنكتكم السياسية، فلو أمرتني أرسلت لك جيشاً أوله عندك وآخره عندي يأتون إليك برأس علي". فرد عليه معاوية في نفس الرقعة المرسلة وقال: "أخان تشاجران فما بالك تدخل بينهما وتعلي من نباحك إن لم تُخرس نباحك أرسلت إليك بجيشٍ أوله عندك وآخره عندي يأتونني برأسك أقدمه لعلي" وأمر برد الرسالة.

ويقال أن قيصر الروم أرسل نفس الرسالة لعلي بن أبي طالب كرم الله وجه فرد مثل معاوية.

وعن خروج الحسين وابن الزبير وابن عباس وغيرهم على يزيد، ليس من نوع الخروج على الحاكم الذي استقر له الحكم. ولم يقل أحد من المؤرخين أو الفقهاء ذلك. بل من الثابت أن الذين خرجوا على يزيد، إنما خرجوا عليه قبل أن تتم له البيعة الشرعية وقبل أن تستقر له الغلبة، ذلك أنه دعا الناس إلى بيعته، وكان قد أوصى والده الناس قبل وفاته بالبيعة له، ولكن جميع أهل الحجاز وسائر أهل العراق وفئات من أهل الشام رفضوا مبايعته، وكان في مقدمتهم هؤلاء الذين ذكرت أسماءهم. إذن لم يكن موقفهم خروجاً على إمام استقرت في الناس إمامته، بل كانوا يمارسون حقهم في البيعة أو عدم البيعة له، بين يدي دعوته الناس إلى مبايعتهم له. يعلم هذا أي مثقف له زاد من الثقافة يسير.

أما خروج ابن الأشعث على عبد الملك بن مروان، فقد كان خروجه من نوع البغي كما قرر الفقهاء، وللبغي قيود وشروط شرعية معروفة في باب الفقه المخصص لذلك.

وليس بينه وبين خروج الناس إلى المظاهرات وهتافات التجريح والسب والتسقيط والخطط الكامنة وراءه أي علاقة أو شبه.

نتائج الفتنة التي حذرنا منها المجتمع في البداية وحدثت.

أولاً: القتـــــل وتبريره تحت ذرائع مختلفة منها الأخذ بالثأر أو النفاق أو المولاة للدولة إلى آخره... تأملوا ما وصلنا إليه اليوم جراء انزلاقنا في هذا الطريق الخاطئ وما قاله الله ورسوله عن القتل.

ونذكر بهذه الآيات الكريمة: (إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آَتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرداً)

وقال تعالى: (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)

وقال تعالى: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ)

فيجب أن نعلم أن كل إنسان يحاسب على عمله فقط. وربما لم يكن هو القاتل، ولكنّه إذا سمع بالقتل فرح به وقبله وربما تمناه للآخرين وأيده وبرره فبهذه الحالة يكون كمرتكب الجريمة في

الحكم، فقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)

وقد قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (نية المؤمن خير من عمله وعمل المنافق خير من نيته وكل يعمل على نيته فإذا عمل المؤمن عملا ثار في قلبه نور). وهنا نفهم أنّ للنية في الإسلام شأنٌ كبير فلا تستهتر بها فأنت قد تفرح إذا سمعت نبأ قتل وربما تؤيد وتبرر والمصيبة أنك تظن نفسك على الحق.

قال تعالى: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً)

وهنا نأتي على الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي وردت بتحريم القتل:

ومنها قوله تعالى: (مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً) صدق الله العظيم

وقال عليه الصلاة والسلام: (من آذى مسلماً بغير حق فكأنما هدم بيت الله)

وقال أيضاً: (لَهَدْمُ الْكَعْبَةِ حَجَراً حَجَراً أَهْوَنُ مِنْ قَتْلِ الْمُسْلِمِ)

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (لَوِ اجْتَمَعَ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ عَلَى قَتْلِ رَجُلٍ مُؤْمِنٍ لَكَبَّهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ)

فهل يعقل أن لا يوجد أي رجل ممن قتل وجرح لا ينطبق عليه هذا النص علماً أن عدد القتلى من الجيش والأمن قد تجاوز 3500 ومثلهم من الجرحى.

والقتل بغير حق من أكبر الكبائر التي يجب إنكارها، ولكن عليك أولاً أن تعلم من هو الذي يقتل بغير حق، من هم الذين يقتلون المئات من رجال الشرطة، ورجال الجيش، ورجال الأمن والناس المدنيين، ومن هم الذين يزرعون الميادين والساحات المكتظة بالألغام والعبوات الناسفة والمتفجرات، انظر إلى الأمر بعينين اثنتين لا بعين واحدة، ثم احكم على القاتل الذي قتل الناس بغير حق بالإجرام أياً كان، وإلى أي جهة انتسب. وعندئذ ستجد أن في الجهتين من يسفك أو يتسبب بسفك الدماء وليس بجهة واحدة فقط كما يدعي البعض. ومن باب العودة إلى الفتنة فاعلم أن الفتنة كانت نائمة ولعن الله من أيقظها.

ولو تم الانضباط بأمر رسول الله الداعي إلى الابتعاد عن الفتنة بكل جوانبها وتجنب الاشتراك فيها، وعدم الانخراط بما يسمى (جهاداً) فالجهاد تحت راية عمياء لا ندري من يحملها ويقودها وإلى أي غاية يمضي بها ليس بجهاد وإنما هو قتل عمد.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من حمل علينا السلاح فليس منا).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) [متفق عليه]

وقال أيضاً عليه أفضل الصلاة والتسليم: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر). متفق عليه وقال أيضاً: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) إن الكفر في الحديث هو مصدر القتل وليس القتل هو مصدر الكفر وسببه كما نتوهم، لأن الكفر هو المتقدم على القتل في الحديث وليس العكس.

قال تعالى: (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً).

كما يحرم على وليّ المقتول أن ينفذ حكم القصاص مباشرة دون الرجوع إلى (الولي الأول) أي السلطة القضائية، ولكنه إن فعل ذلك لا يقتل وإنما يعزّر أي على القاضي أن يختار له العقاب الملائم.

قال تعالى: (وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاّ بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً)

وهذا حتى لا تصبح الدنيا أشبه بالغابة وينصّب الإنسان نفسه قاضياً ومنفذاً للحكم معاً ولكي لا ندخل بمبدأ الثأر والثأر المضاد.

حتى وقت الحرب لم يسمح الله ورسوله بانتهاك حرمة النفس الإنسانية دون حق، بغض النظر عن الدين أو اللون أو الجنس كما حرم انتهاكها وقت السلم وفي كل الأحوال وجعل قتل نفس واحدة مساوياً لقتل الناس جميعاً علي الأرض كما في قوله تعالى:

(مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً). صدق الله العظيم

ثانياً: التفرقة وشق الصفوف:

يقول الله سبحانه وتعالى: (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً)

وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (من فارق الجماعة، وخرج من الطاعة، فمات فميتته جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها، لا يخشى مؤمنا لإيمانه، ولا يفي لذي عهد بعهده؛ فليس من أمتي، ومن قتل تحت راية عميّة يغضب للعصبية، أو يقاتل للعصبية؛ فقتلته جاهلية)...

وأمّا إن حدث ما كنا نخشى حدوثه وصار واقعاً فعلينا الالتزام بما يلي:

- قال تعالى: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ).

- وقال سبحانه وتعالى أيضاً: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)

- وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً).

- وقال أيضاً: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى شيئاً تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)

ثالثاً: التخريب وقطع الطريق وأذى الناس.

والغريب أن يظن المرء نفسه على الحق وهو على باطل وهذا طبعاً بفضل إرشادات الفضائيات المدمّرة للشعوب والفتاوى الكثيرة الضالّة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك، فأخذه، فشكر الله له فغفر له) رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية أخرى: (لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق، كانت تؤذى الناس)

فكيف بمن يخرّب ويحرق ويلقي بالحجارة ويقطع الطرقات ويروع الناس.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق).

وقال أيضاً: (اتقوا اللاعنين، قالوا: وما اللاعنان يا رسول الله ؟، قال: الذي يتخلّى في طريق الناس أو ظلهم) والمقصود أنه مستحقّ لغضب الله تعالى وذمّ الناس لإفساده الطريق وحرمانه لهم من التمتّع في أماكن مواطن الراحة كظلّ الأشجار ونحوها.

وقال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ)

"فالحرية تنتهي عندما تبدأ حرية الآخرين"

وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ) الحشر 2

نقف هنا عند هذه أية الكريمة: (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ) فالسير في طريق معلومة نتائجه مسبقاً وإصرار المرء على الاستمرار به رغم سوئه فهو بمثابة من يخرب بيته وبيوت الناس بيده.

رابعاً: سوء الخلق.

قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)

وقال رسول الله: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) وقال أيضاً: (إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً)

وعندما أثنى الله تعالى على سيدنا محمد قال: (وإنّك لعلى خلق عظيم). أي أثنى عليه بخُلُقه الحسن.

إن الدخول في هذه الفتنة سيجرك إلى عشرات المعاصي منها سوء الخلق من شتم ولعن وغيبة ونميمة وغير ذلك... وهذه المعاصي التي لا يلقي لها بعض الناس بالاً لا تحتاج إلا للسان فقط.

فلهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ).

وفي رواية أخرى: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا فَيَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفاً).

وقال أيضاً: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا فِي الْجَنَّةِ).

وقال النبي عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل: وهنا الشاهد بالحديث (ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟) قلت: بلى يا رسول الله. فأخذ بلسانه وقال: (كف عليك هذا). قلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: (ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم، – أو قال: على مناخرهم – إلا حصائد ألسنتهم)

بل إنّ قوّام الليل صوّام النهار لا تغني عنه عبادته شيئاً إذا كان سليط اللسان على عباد الله، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: (أتدرون من المفلس) قالوا: المفلس يا رسول الله من ليس معه درهم ولا دينار. فقال عليه الصلاة والسلام: (المفلس من يأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال ويأتي وقد شتم هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته حتى إذا فنيت حسناته أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح في النار)

وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن امرأة تصوم النهار وتقوم الليل لكنها تؤذي جيرانها بلسانها فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (هي في النار) فتأمل معي – يا رعاك الله – تؤذي جيرانها بلسانها فقط فذهب أجر صومها وذهب أجر قيامها بلسانها وطرحت في النار..

قال تعالى: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنّ العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم)

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) متفق عليه

وقال عليه الصلاة والسلام: (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ولا يكذبه ولا يحقره، التقوى ههنا – ويشير إلى صدره ثلاث مرات – بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه). رواه مسلم

وقال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

وقال تعالى أيضاً: (وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ) صدق الله العظيم

وعن عائشة . رضي الله عنها . قالت: "قلت للنبي – صلى الله عليه وسلم – حسبك من صفية كذا وكذا" قال بعض الرواة تعني قصيرة . فقال: (لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته).

وقال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم:

(إياكم والغيبة فإنها أشد من الزنا لأن الرجل يزني فيتوب، فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له إلا إذا غفرها صاحبها).

وقال صلى الله عليه وآله : (مررت ليلة أسري بي إلى السماء على قوم يخمشون وجوههم بأظفارهم فسألت جبرائيل عنهم، فقال: هؤلاء الذين يغتابون الناس).

وعن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل الجنة نمام)

فجعل النبي صلى الله عليه وسلم: النميمة سبب كل شر وفساد في الدنيا والدين لذلك هي من كبائر الذنوب كما في حديثه أنه مر بقبرين فقال: (إنهما يعذبان، وما يُعذبان في كبير، بلى

إنه كبير: أمّا أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأمّا الآخر فكان لا يستتر من بوله) متفق عليه، قال العلماء: معنى وما يعذبان في كبير أي كبير في زعمهما.

وقال صلى الله عليه وسلم: (إياكم والفحش، فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش)

ونهى رسول الله عليه السلام عن أن تسب قتلى بدر من المشركين فقال: (لا تسبوا هؤلاء؛ فإنه لا يخلص إليهم شيء مما تقولون وتؤذون الأحياء، ألا إنّ البذاء لؤم).

وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الأسواق)

وقيل أن أعرابياً قال لرسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "أوصني"، فقال: (عليك بتقوى الله، وإن امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه، يكن وباله عليه وأجره لك، ولا تسبنّ شيئاً) قال: "فما سببت شيئا بعده".

قال تعالى: (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً)

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ليس الشديد بالصرعة، إنّما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: "أوصني" قال: (لا تغضب فردد مراراً).

وبهذه الكلمة الموجزة، يشير النبي صلى الله عليه وسلم إلى خطر هذا الخلق الذميم، فالغضب جمّاع الشر، ومصدر كل بليّة، فكم مُزّقت به من صلات، وكم قُطّعت به من أرحام، وكم أُشعلت به نار العداوات، وارتُكبت بسببه العديد من التصرفات التي يندم عليها صاحبها ساعة لا ينفع الندم، فإنه غليان في القلب، وهيجان في المشاعر، يسري في النفس، فترى صاحبه محمر الوجه، تقدح عينيه الشرر، فبعد أن كان هادئا متزنا، إذا به يتحول إلى كائن آخر يختلف كلية عن تلك الصورة الهادئة، كالبركان الثائر الذي يقذف حممه على كل أحد.

(فهل تخلوا مظاهرة اليوم أو جلسة في بيوتنا وأعمالنا من مما حذّر منه النبي الكريم من سوء الخلق؟؟؟)

خامساً سوء الظن:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن شرًّا، وأنت تجد لها في الخير محملاً".

فما بالكم إذا كان سوء الظن بالعلماء فهو أشد وأخطر بكثير..

فمن الناس من يتهمهم بالنفاق فقط ! وذلك لأنهم خلفوا آرائهم أو قد يكونوا اطلعوا على قلوبهم والله أعلم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ) رواه أحمد والحاكم وغيرهما بألفاظ متقاربة

وللأسف هذا ما حصل على سبيل المثال مع فضيلة شيخنا الأستاذ الدكتور العلامة محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله تعالى وأطال عمره، فكان قبل أن يقول رأيه بالأحداث أفضل عالم وبعدها أصبح عند بعض الناس منافقاً ومرائياً ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم من هؤلاء الناس الذين يقولون عن فضيلته هذا الكلام.

ولو أنهم يحسنون الظن على الأقل لتذكروا قول رسول الله:

(إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر).

ولتذكروا قول عمر رضي الله عنه أنه قال:

"لأنْ أُخطئ في العفو أحب إليَّ من أن أخطئ في العقوبة".

وأذكر هنا قصة مماثلة حصلت في عهد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم للصحابي الجليل عبد الله بن سلام:

(كان سيّدنا عبد الله بن سلام رضي الله عنه حبراً من أحبار اليهود وكان يقرأ في التوراة ويعلم أنّ النبيّ الأميّ – صلّى الله عليه وآله وسلّم – سيبعث في آخر الزمان، وكان يحبّ أن يراه ويتبعه، فلما جاء النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى المدينة ذهب إليه ونظر في وجهه الكريم فقال: لما نظرت في وجهه علمت أنه ليس بوجه كذاب. وتأمّله فتحقق أنه هو النبي المنتظر،

وقال له إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبيّ: ما أوّل أشراط الساعة؟ وما أوّل طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمّه؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (أما أوّل أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أوّل طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل نزعه، وإن سبق ماء المرأة نزعته) فقال: أشهد أنك رسول الله حقاً ثم قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت وإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني عندك. فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلّم: (أي رجل عبد الله فيكم)؟ فقالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيّدنا وابن سيّدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا قال: (أرأيتم إن أسلم عبد الله)؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج إليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً رسولُ الله. فقالوا: شرنا وابن شرنا وجاهلنا وابن جاهلنا وانتقصوه فلم يدعوا نقيصة إلا ورموه بها، فقال عبد الله رضي الله عنه: هذا ما كنت أخاف عليه يا رسول الله وأحذر. وقال سعد ابن أبي وقاص: ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على وجه الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام).

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ..)

ونقل النووي رحمه الله في التبيان في آداب حملة القرآن عن أبي حنيفة والشافعي رحمهما الله أنهما قالا: "إن لم يكن العلماء أولياء الله، فليس لله وليّ".

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وإنّ العلماء ورثة الأنبياء، إنّ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنّما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)

وقال أيضاً: (فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ)

وقد روى أبو داود والترمذي من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع. وإن العالم ليستغفرُ له مَنْ في السموات ومن في الأرض حتى الحيتانُ في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإنّ العلماء ورثة الأنبياء). صدق رسول الله

وأقول للعلماء الذين يتسابقون بالفتية:

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار)

فالفتوى هي توقيع الشرع الإلهي.

قال عبد الله بن مسعود: "إن كل مَن يُفتي الناس في كل ما يَستفتونه لمجنون"!

وقال أبو داود في مسائله: "ما أحصي ما سمعت أحمد سُئل عن كثير مما فيه الاختلاف في العلم فيقول: لا أدري".

قال: وسمعته يقول: "ما رأيت مثل ابن عيينة في الفتوى أحسن فتيا منه، كان أهون عليه أن يقول لا أدري".

وقال عبد الله بن أحمد في مسائله: "سمعت أبي يقول: وقال عبد الرحمن ابن مهدي: سأل رجل من أهل الغرب مالك بن أنس عن مسألة، فقال: لا أدري، فقال: يا أبا عبد الله تقول لا أدري ؟! قال: نعم، فأبلغ من وراءك أني لا أدري"!

وأما الدول الإسلامية التي تتفاخر بخدامة بيت الله الحرام صباح مساء وتدعم هؤلاء المفتون بكل ما أوتيت من قوة ولمصالح سياسية بحتة بل وترعاهم وتبارك القتل والحرب الأهلية باسم الدين ؟

أقول لهم: ما قاله الله تعالى: (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ).

وأريد أن أسأل علماء الخليج لماذا لا يتكلمون عن منكرات ملوكهم وأمرائهم على كثرتها؟

ونقول للدول الغربيّة: قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ) صدق الله العظيم.

سادساً: الحقد:

النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلمنا الحقد لأن الحقد يتناقض مع الدعوة إلى الله قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) اقرؤوا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فلن تجدوا فيها حقد ولا ضغينة وهناك أمثلة عديدة منها:

موقفه من أهل الطائف حين قال لملك الجبال: (بل أرجو أن يُخرِجَ الله من أصلابهم مَنْ يعبد الله وحده لا يُشرك به شيئاً).

وفي أثناء أحداث وفعاليات غزوة أحد جرح ونزف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وجاء سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وطلب منه أن يدعو على الكفار والمشركين ولكنّ النّبي القدوة الحسنة رفض بل قال الدعاء الشهير: (الله اهد قومي فإنهم لا يعلمون).

وكما روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة قال: جاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن دوسا قد عصت وأبت فادع الله عليهم فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة ورفع يديه فقال الناس هلكوا فقال: (اللهم اهد دوساً وأت بهم اللهم اهد دوساً وأت بهم). هذا هي عظمة الإسلام ورسوله الهادي.

وروى الترمذي في جامع جابر قال: قالوا يا رسول الله اخترقتنا نبال ثقيف فادع الله عليهم قال: (اللهم اهد ثقيفاً).

يلاحظ من خلال هذه النماذج أن صيغة خطابها كلها كلمات تدعو.. [للهداية والرشد].. فلماذا لا تكون هذه النماذج قدوة لعلمائنا وفقهائنا وللجميع الدعاة والخطباء.

وسأذكر لكم موقف النّبي الكريم من أهل مكة الذين كفروا بالله وأخرجوا رسوله وحاولوا قتله وآذوه وآذوا أصحابه وحاربوهم انتظروا جميعاً بعد فتح مكة أقل شيء منه وهو أسرهم مثلاً وإن اقتص لقتلاه ولبعض ما فعلوه معه فسوف يقتلهم أو يصلبهم أو يعذبهم ولكنّ الكريم لا يفعل إلا ما يليق به فلما فتح الله عليه مكة قال لقريش: (ما تظنون أنّي فاعل بكم؟) قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: (اذهبوا فأنتم الطلقاء، لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لي ولكم).

كيفية التعامل مع الآخر في الإسلام:

ونعني بالآخر كل من نختلف معه سواء بالدين أو العقيدة أو الملة أو من يعتقد البعض أنهم منافقون وأحياناً قد يكونوا متيقنين من نفاقهم أو حتى كفرهم.

وما يعنينا هو بلدنا الحبيب فيجب أن نعلم قبل كل شيء أن الجميع مهما اختلفنا معه فإن هناك بيننا وبينه شيئاً مشتركاً ألا وهو الوطن والإنسانية.

أولاً غير المسلمين:

قال تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) صدق الله العظيم

وقال سبحانه: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)

وفي صحيح البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال: (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإنّ ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً).

وقد استضاف رسول الله النصارى في مسجده أياماً عديدة، وكانوا يصلون صلواتهم مع صلبانهم في مسجده بإذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فاقرؤوا سيرة رسول الله واستضافته لنصارى نجران في مسجده.

وقد أوصى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وهو على فراش الموت الخليفة من بعده بأهل الذمة خيراً، وأن يفي بعهدهم، ولا يكلفهم فوق طاقتهم. والذمة معناها العهد، الذي يشمل عنصري التأمين والحماية، وهذا سبق وريادة يُعرف في عصرنا بالحقوق المدنية والجنسية. كان سهل بن ضيف، وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية، فمرَّ الناس عليهما بجنازة فقاما، فقيل لهما: إنّها من أهل الأرض – أي من أهل الذمة – فقالا: أن النبي مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: (أليست نفساً) البخاري

وأريد أن أذكر الجميع بالآية الكريمة: الآية: (إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً)

وسبب نزولها: أن طعمة بن أبيرق سرق درعاً لقتادة بن النعمان، وكان الدرع في جراب فيه دقيق، فجعل الدقيق ينتشر من خرق الجراب، حتى انتهى إلى الدار، ثم خبأها عند رجل من اليهود، فالتمست الدرع عند طعمة، فلم توجد عنده، وحلف: ما لي بها علم، فقال: أصحابها،

بلى والله، لقد دخل علينا فأخذها، وطلبنا أثره حتى دخل داره، فرأينا أثر الدقيق، فلما حلف تركوه، واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودي فأخذوه، فقال: دفعها إليَّ طعمة، فقال قوم طعمة: انطلقوا إلى رسول الله، وليجادل عن صاحبنا فانه بريء، فأتوه فكلموه في ذلك، فهم أن يفعل، وأن يعاقب اليهودي فنزلت هذه الآيات كلها، رواه أبو صالح عن ابن عباس إن المسألة لم تكن مجرد تبرئة بريء، تآمرت عليه عصبة لتوقعه في الاتهام، وإن كانت تبرئة البريء أمراً هائلا ثقيل الوزن في شرع الله، إنما كانت أكبر من ذلك. إقامة الميزان الذي لا يميل مع الهوى، ولا مع العصبية.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)

المعنى: لا يحملنكم بغضكم للمشركين على أن تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بأن تنتصروا منهم وتتشفوا بما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من قذف أو تمثيل أو قتل أولاد ونساء أو نقض عهد أو ما أشبه ذلك.

(اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)

نهاهم أولاً أن تحملهم البغضاء على ترك العدل، ثم استأنف فصرّح لهم بالأمر بالعدل تأكيداً وتشديداً، ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل وهو قوله: (هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) أي العدل أقرب إلى التقوى، وأدخل في مناسبتها. أو أقرب إلى التقوى لكونه لطفاً فيها.

وفيه تنبيه عظيم على أن وجود العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله إذا كان بهذه الصفة من القوة، فما الظنّ بوجوبه مع من يؤمنون بالله وهم شركاء معهم في الوطـن؟

ثانياً: المسلمون من مذهب آخر:

فإنه أولاً: يوحد الله ويؤمن برسوله وقرآنه ولو اختلفنا في بعض الأمور فحكمها إلى الله يوم القيامة والذي يجمعنا أكثر مما يفرقنا وهو قبل كل شيء هم إخوتنا وشركائنا في التوحيد لله والوطن.

قال رسول الله: (فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، وأبشاركم، عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلَّغت).

يقَوْل النبي عليه الصلاة والسلام قال (إنَّ الشيْطان يئس أن يُعْبَد في أرْضِكم، وذلك بعد مجيء النبي عليه الصلاة والسلام إلى الجزيرة العربيّة، لم يعد هناك عبادة أصْنام، ولكن رَضِيَ فيما دون ذلك، هناك روايتان الأولى مما تحْقِرون من أعْمالكم والرواية الثانِيَة أنَّهُ رَضِيَ في التَّحْريش بين المؤمنين لأنَّ التَّحْريش بين المؤمنين هَمُّ الشيْطان، ولأنَّهُ يريد أن يوقِعَ بينهم)

وعلى كل حال الإسلام علمنا دائماً أن ننظر إلى الإيجابيات وأن لا نخلط الأمور ببعضها:

(والله ما ذممناه صهراً مع أنه كان مشركاً وكان يقاتل ضد المسلمين)

وقصة هذا القول هو: أن السيدة زينب رَضِي اللَّه عَنْها، كبرى بنات السيدة خديجة من النبي عليه الصلاة والسلام، فزوجّها النبي في الجاهلية من أبي العاص بن الربيع، وهو ابن أخت السيدة خديجة، أمه هالة بنت خويلد، وكانت السيدة خديجة تعد أبا العاصي بن الربيع بمنزلة ولدها، ولما زفت السيدة زينب إليه أهدتها أمها خديجة قلادةً هدية زفافها، هذه بدايات القصة، ولما أراد المشركون أن يؤذوا رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بناته كما مر من قبل، وكلموا أبا العاصي أن يطلق السيدة زينب، وعرضوا عليه بالمقابل أن يزوجوه أية امرأة من قريش يشاء، هذا الموقف الشريف الأخلاقي رفضه رَضِي اللَّه عَنْه، وقال لهم: لا والله إني لا أفارق صاحبتي، هناك أصهار رسول الله بعضهم طلق زوجاته، أما أبو العاصي فقال: والله لا أفارق صاحبتي، وما أحب أن لي بامرأتي امرأةً من قريش، لهذا أثنى عليه النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: (زوجت أبي العاصي فحدثني، وصدقني، ووعدني فوفى لي)، وحينما رآه عليه الصلاة والسلام بين الأسرى في موقعة بدر قال: (والله ما ذممناه صهراً)، والبطولة أيها الأخوة أن تعطي الناس حقهم، البطولة أن تكون منصفاً، رأى صهره بين الأسرى، جاء ليقاتله، ولكنه ما ذمه صهراً.

يروى أن سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام مر بجيفة ولا أعتقد أنه يوجد في الأرض أبشع لا في المنظر ولا في الرائحة من الجيفة، فقال أصحابه: ما أنتن ريحها، فقال عليه الصلاة والسلام: بل ما أشد بياض أسنانها.

(مغزى القصة أنظروا إلى الإيجابيات أيضاً لا إلى السلبيات فقط)

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كانَ مُنافِقاً خالِصاً، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلة مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّة مِنْ نِفاقٍ حتَّى يَدَعَها: إذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عاهَدَ غَدَرَ، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ).

نتوقف هنا عند وإذا خاصم فجر فهل نحن ملتزمون بهذا النهي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: ما يعتقد أنهم منافقون أو المنافقون فعلاً:

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً) صدق الله العظيم

قال أسامة استغفر لي يا رسول الله فرد عليه النبي حزيناً (قتلت رجلاً يقول لا إله إلا الله كيف أنت إذا خاصمك يوم القيامة بلا إله إلا الله؟!) فقال أسامة: يا رسول الله إنما تعوذ من القتل فقال له الرسول: (هلّا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفاً أم لا)... وظل النبي يردد أمامه وهو حزين (أقتلت رجلاً يقول لا إله إلا الله) حتى قال أسامة: وددت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ ثم استغفر له المصطفى – صلى الله عليه وسلم – وأمره بعتق رقبة.

وحدث مثل هذا الموقف مع خالد بن الوليد وكان الرجل يبارزه بسيفه وعندما تمكن منه خالد قال الرجل لا إله إلا الله محمد رسول الله ولكن خالد أجهز عليه بسيفه .. وقد غضب عليه النبي – صلي الله عليه وسلم – غضباً شديداً وقال خالد يا رسول الله قالها لينقذ روحه ولو تمكن مني لقتلني فقال الرسول – صلى الله عليه وسلم – (هلّا شققت عن قلبه؟!)

لتكون هذه قاعدة ذهبية: لا تفتشوا في ضمائر الناس وقلوبهم ولكن احكموا عليهم بأفعالهم وأقوالهم واتركوا الضمائر والقلوب لله.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني لم أومر أن أنقّب قلوب الناس، ولا أشق بطونهم) البخاري

هكذا تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع جميع رعايا الدولة الإسلامية في المدينة، رغم ما يكنه له البعض من عداء وكراهية، وما يبطنونه من حقد دفين، فعاملهم بالرفق واللين حينا وبالغلظة والشدة حينا آخر; مقدما نموذجا فريدا للعالم أجمع للتعايش السلمي مع جميع أفراد المجتمع دون تأجيج للفتنة، وتنكيل بالخصوم، وهو الأمر الذي يجب على المسلمين إتباعه كي لا يشقوا صف وحدة الأمة في وقت هي في أمس الحاجة إلى الوحدة، وفي وقت يحاول أعداؤها زرع الفتنة وبث الوهن بين أبنائها، فتلك هي الأسوة الحسنة التي يجب أن نطبقها ونتعلمها من رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم للتعامل مع الآخر الحاقد، إنه التعايش وحفظ وحدة الأمة وحماية أمنها واستقرارها.

وفي الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة، فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار. وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(ما بال دعوى الجاهلية ؟) قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال: (دعوها فإنها منتنة)، فسمعها عبد الله بن أُبيّ فقال: قد فعلوها ! والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذل. قال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق ! فقال: (دعه كي لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه).

وأتى عبد الله بن أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت لابد فاعلا فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله، فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر، فأدخل النار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا)

جاء الموت إلى عبد الله بن أبي بن سلول، فقال لابنه عبد الله: يا بنيّ! إذا مِتّ، فاطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكفّنني في ثيابه، واطلب منه أن يصلّي عليّ، وجاء عبد الله بن عبد الله، يقول: يا رسول الله! إن أبي أوصاني أن يُكفن في ثيابك وأن تُصلي عليه، هذا الذي قاد حملة الإفك والشائعات على رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا الذي نزل القرآن

يُعلن أن له عذاباً عظيماً، يطلب أن يُكفّن في ثياب رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فيخلع النبي صلى الله عليه وسلم ثيابه، ويقول: (كفنه فيها إن كانت تنفعه)، ثم يخرج للصلاة عليه، فيُمسك سيدنا عمر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول: يا رسول الله، أتصلّي على هذا المنافق؟!! لقد فعل وفعل وفعل، قال: (دعني يا عمر لقد خيرني الله عز وجل فقال: (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) صدق الله العظيم والله لو علمت أني لو زدت على السبعين غُفر لهم؛ لاستغفرت لهم)!!!.

ورغم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم أسماء المنافقين وأمر بإغلاظ القول لهم، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ) [التوبة: 73]، ومع ذلك لم يصرح بأسمائهم.

ولذا ما كان يعرف أسماء المنافقين بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين

وفي قصة أخرى: قال رجل: يا رسول الله اتق الله! فقال: (ويلك ! أو لست أحق أهل الأرض أن يتقي الله). قال ثم ولّى الرجل، فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه ؟ فقال: (لا لعله أن يكون يصلي). قال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم). رواه مسلم

حافظوا على الشام:

ذكر النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم بارك لنا في شأمنا، اللهم بارك لنا في يمننا). قالوا: يا رسول الله، وفي نجدنا؟ قال: (اللهم بارك لنا في شأمنا، اللهم بارك لنا في يمننا). قالوا: يا رسول الله، وفي نجدنا؟ فأظنه قال في الثالثة: (هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم لا تزال طائفةٌ من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة).

وفي الصحيح ما رواه الطبراني والحاكم، وقال الحاكم: صحيح الإسناد أن رسول الله قال: (الشام صفوة الله من بلاده، إليها يجتبي صفوته من عباده. فمن خرج من الشام إلى غيرها فبسخطه، ومن دخلها من غيرها فبرحمته).

كما ورد من حديث الطبراني من طريقين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أتدري ما يقول الله في الشام؟ إن الله عز وجل يقول "يا شام أنت صفوتي من بلادي، أدخل فيك خيرتي مِن عبادي". إن الله تكفل لي بالشام وأهله).

وفي النهاية أقول لمن يخالفني واقتبس العبارة من القرآن الكريم:

(وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)

قال تعالى: (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ).

صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم

ولم يبقى إلا أن ندعوا الله تعالى:

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم ارفع راية الحق والدين وانصر الإسلام وأعز المسلمين، اللهم من أراد بالإسلام والمسلمين خيراً فوفقه اللهم لكل خير ومن أراد بهم غير ذلك فخذه أخذ عزيز منتقم، اللهم أعد الأمن والأمان والطمأنينة إلى ربوع بلادنا وأهلها اللهم وفق الراعي إلى ما تحبه وترضاه وهيئ له البطانة الصالحة واجمع عليه أمر هذه الأمة فيما يرضيك، اللهم أصلح الراعي والرعية يا رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.